الفصل الاول

(ماهية الفروق الفردية)

- ماهية الفروق الفردية: (Individual differences)

من المعروف أن هناك الكثير من الصفات، والخصائص التي يتشابه، ويشترك بها البشر، والتي تميزهم عن باقي المخلوقات، أو الكائنات الحية الأخرى، كما وتشترك تلك الكائنات الحية الأخرى أيضاً في صفاتها كل حسب صنفه، ونوعه. وبالرغم من ذلك، فهناك فروق بين الأنواع، والأصناف لكل من هذه المخلوقات تسمى الفروق الفردية. وظاهرة الفروق الفردية لا تقتصر على نوع الجنس البشري، بل نستطيع أن نلاحظها في جميع الكائنات الحية، فطالما وجدت الحياة، وجدت الفروق الفردية، فهي ظاهرة عامة لجميع الكائنات الحية (البشرية والحيوانات، وحتى الحشرات) وتمثل الاختلافات الموجود بين البشر، بين بعضهم ببعض، وبينهم وبين الحيوانات، والكائنات الحية الأخرى التي هي أدنى من البشر، وكذلك، الفروق بين تلك الكائنات الحية فيما بينها، وهي اختلافات قد تكون ظاهرة، أم غير ظاهرة.

يتباين أفراد النوع الواحد في صفاتهم، ويتباين البشر في جميع صفاتهم، فالبشر يتباينون في أشكالهم، وألوانهم، وطرق وأساليب تفكيرهم، ومستويات فهمهم، وطرق وأساليب استجاباتهم للمواقف المختلفة، فمنهم العادي، والموهوب، وفيهم القصير، والطويل، والبدين والنحيف، وفيهم الأسود والأبيض، كما ومنهم من يستجيب بسرعة، وآخر ببطء، ومن هو مهتم بموضوع، وآخر مهتم بموضوع آخر،... ولا يقتصر وجود الفروق بين الأفراد فحسب، بل توجد الفروق حتى داخل الفرد نفسه. فبالرغم من أن الشخص الواحد له سماته، وخصائصه، ومميزاته التي تميزه عن غيره، إلا أن قدراته، واستجاباته متباينة كذلك. فمثلاً، تتباين قدرته على التكيف، وفي التعامل مع المواقف الحياتية المختلفة من وقت لآخر، ومن موقف وظرف لآخر. كما ويؤكد علماء النفس بأن الأفراد يختلفون في قدراتهم على التعلم، وحل المشكلات، واكتساب اللغات والعادات السلوكية والمعرفية،

كما يختلفون في طرق وأساليب استجاباتهم للمواقف المختلفة، مثل مواقف الخوف، والسلوك العدواني، ونشاطاتهم الأخرى، كحب الاستطلاع، وتناول الطعام، والنوم، والمشي، والكلام...إلخ من النشاطات المتنوعة. وتشمل تلك الفروق النواحي الجسمية، والعقلية، والنفسية، والانفعالية، والسلوكية الأدائية. ولا تقتصر الاختلافات على هذه النواحي فحسب، وإنما من الناحية الفسيولوجية أيضا، والبيو كيميائية في كل خاصية يمكن قياسها، أو رصدها فيما يصدر من الإنسان من سلوك، أو فعل، أو تغييرات فسلجية، وحتى تكوينية في الخَلق، مثل عمل القلب، والمعدة، والرئتين، والبنكرياس، فنجد الكثير من الاختلافات من حيث الشكل، والحجم في هذه الأجهزة، بين الأفراد، وبين الأخوة أيضاً ممن ينتسبون لأب واحد، وأم واحدة، فضلاً عن التركيب الكيميائي لسوائل الجسم، واللعاب، والبول، وحتى رائحة الجسم التي تنبعث من الفرد، فهي تختلف من فرد لآخر، وبين الأخوة الأشقاء، والتوائم أيضا.

نبذة تاريخية عن معرفة ودراسة الفروق الفردية:

منذ أقدم الحضارات عرف الإنسان معنى الفروق الفردية، فمثلاً عرف أن المقاتل الجيد يتمتع بقدرات تختلف عن الآخرين من المقاتلين، وكذلك في إدارة سلطة الدولة. وقد استرعت هذه الاختلافات بين الأفراد انتباه المفكرين والعلماء منذ القدم، إلا أنها كانت آراء وأفكار فلسفية لم تخضع للدراسة العلمية الدقيقة للتحقق منها. ففي الفلسفة القديمة على سبيل المثال، قسم "هيبوقراط" Hippocratesالناس بحسب أنماط، أو سمات مزاجية أربعة بحسب تباين نسب السوائل في الجسم، وهي المزاج الدموي، والصفراوي، والبلغمي، والسوداوي، وعلى أساس هذا التباين، فالناس يختلفون في أمزجتهم، وسلوكهم، أو ردود أفعالهم. أما " أفلاطون" Plato فقد قسم الناس بحسب غلبة أحد قوى النفس عليه، وهي قوة العقل، والغضب، والشهوة، وعلى أساس هذا التقسيم، حدد أفلاطون في جمهوريته المثالية، تصنيفات مناسبة لكل فئة من الناس بحسب غلبة إحدى هذه